مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (4)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (4) 2016

صورة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كما قدمها ناصر خسرو في رحلته

الدكتور سامي مرعي *

(تاريخ الإيداع 10 / 2 / 2016. قبل للنشر في 17 / 7 / 2016)

□ ملخّص □

يعالج هذا البحث صورة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كما قدّمها ناصر خسرو في رحلته "سفر نامه"، فيوضّح خط سير ذلك الرحالة في ذينك البلدين، وكان خلال مروره في المدن والبلدات التي اجتازها يصور واقع الحياة فيها، فقدم معلوماتٍ وثائقيةًمهمةً ومتنوعة في جوانب مختلفة، فهناك ذكرٌ لبعض الأخبار التاريخية، وعرضٌ للواقع السياسي القائم، ولبعض الأعمال الحضارية في عهد بعض الحكام الذين عاصرهم في بعض المناطق، وتصوير لكثير من الجوانب الحضارية، فهي تلقي ضوءاً على العديد من النواحي العمرانية كمواقع المدن وأبوابها واتجاهاتها وأسواقها وعمائرها المختلفة من دينية ومدنية وعسكرية، وزخارف تلك العمائر ونقوشها، كما توضّح مصادر المياه في كل منطقة سواء من الأنهار أو العيون أوالآبار أو من مياه الأمطار وغيرها، كما تبيّن الزراعات من أشجار ونباتات، وكذلك الحرف والمهن، وأهم المراكز التجارية والنقود والموازين، وبعض المواد المتاجر بها، كما تحتوي بعض المعلومات الاجتماعية، ومنها عدد السكان في بعض المدن، والمذهب الشائع في بعض المناطق، وزيارة الأماكن المقدسة، وبعض الاعتقادات والعادات التي كانت موجودة آنذاك، وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: الجزيرة الفراتية، بلاد الشام، ناصر خسرو، سفر نامه.

* مدرس – قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (4)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (4) 2016

Aportrait of the al-Gazera al-Foratuh and Bilad al-Sham in the fifth ALhagrah century/ The eleventh century AD, as Nasirkhusraw introduced it in his journey.

Dr. Sami Muray *

(Received 10 / 2 / 2016. Accepted 17 / 7 / 2016)

□ ABSTRACT □

The search treatsAportrait of the al-Gazera al-Foratuh and Bilad al-Sham in the fifth ALhagrah century/ The eleventh century AD, as Nasirkhusraw introduced it in his journey (book of travels) "Safar- nama". He explains his travelling line that tour between that Countries and he was revealing the position of life through his passing in those cities and Countries. He introduced important, various and documentary information in different sides. There was record for some historical news, he appeared the political situation there and for some civilized works for the being rulers in some areas.

He showed much of the civilized sides, which gave light to the many numbers of the populated positions as the positions of the cities, their doors, towards, markets and their different, military, civilized, religion building and the carvings of that building and their mosaic. As they explain the sources of waters in each area whereas of rivers or of springs or the wells or of rain waters and the others. As the framings of trees and plants, occupations and hobbies, and the important commercial centers, coins and the libras, and some materials for trading in them. As they contain some social information, and some population in some cities and the religion in those areas, avisit to the holy places, some being habits and beliefs there and another thing.

Key words: al-Gazera al-Foratuh,Bilad al-Sham, Nasirkhusraw, "Safar- nama".

* **Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

الجزيرة الفراتية هي بلاد ما بين نهري دجلة والفرات العليا، وهي واسطة بين العراق والشام، ومنازل العرب في الإسلام، وكانت قد نزلتها منذ ما قبل الإسلام ثلاث قبائل عربية هي: ربيعة، ومضر، وبكر، فاستقرت كل منها في ديار خاصة بها عرفت باسم القبيلة التي نزلت بها،وأولها من جهة العراق، هي ديار ربيعة، وقصبتها الموصل، ويقع غرب ديار ربيعة ديار مضر، وحاضرتها الرقة، وتقع في الشمال ديار بكر، وهي أقصى هذه الديار الثلاث شمالاً، وقاعدتها آمد[1]، أما بلاد الشام فهي المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط «بحر الروم» غرباً، والبادية من أيلة إلى الفرات، ومن الفرات إلى حدود بلاد الروم شرقاً، وبلاد الروم شمالاً، ومصر جنوباً [2]، ويبلغ طولها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية ما يقارب شهراً، أما عرضها، فمن جبلي طيء شمال الجزيرة العربية في الشرق إلى البحر المتوسطغرباً، ويبلغ "نحو عشرين يوماً"[3] للراكب.

تعد كتب الرحلات من المصادر المهمة والأساسية لدراسة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، لما تحويه من معلومات ثمينة في النواحي الحضارية، وقد اهتم أصحابها بوصف الأقاليم والبلدان وما حوت من الغرائب، وكان قد زار الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عدة رحالة، أمثال: أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير [4]، وإبراهيم بن أحمد بن الليث المظفريالأذري [5]، والمختار بن الحسن ابن بطلان [6]، وناصر خسروالقبادياني، فدونوا في رحلاتهم خلاصة مشاهداتهم وأسفارهم، غير أن رُحل هؤلاء الرحالة – باستثناء رحلة ناصر خسرو – فقدت، ولم يبقَ منها إلا شذرات في ثنايا بعض الكتب والمصادر.

أهمية البحث وأهدافه:

يرتبط هذا البحث في أهميته بالمادة التي قدمها ناصر خسرو في رحلته المعروفة بـ "سفر نامه" أي مذكرات السفر، وهي معلومات وثائقية متميزةعن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، إذ تتعدد الموضوعات التي تناولتها بين مختلف النواحي الحضارية كالعمران والاقتصاد والمجتمع، كماتضمنت بعض الأخبار التاريخية، وصورت الواقع السياسي القائم، ويضاف إلى ذلك أهمية موقع الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، ومكانتهما في أدوار التاريخ المختلفة. ويعود اختيار هذا البحث للأسباب الآتية:

- أهمية رحلة ناصر خسروالمعروفة بـ "سفر نامه" بصفتها مصدراً لا غنى عنه لحضارة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام وتراثهما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.
- فقدان معظم رحلات الرحالة الذين زاروا الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في ذلك القرن، وعدم بقاء إلا شذرات من تلك الرحلات، باستثناء رحلة ناصر خسرو "سفر نامه".
- أهمية المادة التي قدّمها ذلك الرحالة في رحلته عن تاريخ الجزيرة الفراتية وبلاد الشام وحضارتهما، وتميز تلك المادة بالدقة، وتنوع النواحي والجوانب التي تناولتها.
- انفراد ناصر خسرو في رحلته بكثيرٍ من المعلومات والأخبار التي لم ترد لدى غيره من الرحالة والجغرافيين.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على حضارة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من خلال عرض بعض الأعمال الحضارية لبعض الحكام والأمراء في بعض المناطق، وتصوير الواقع العمراني في المدن التي مرَّ بها ناصر خسرو، ومعرفة مصادر المياه التي اعتمد عليها السكان لتأمين مياه الشرب،

والتعرف على الوضع الاقتصادي القائم، ونشاطات السكان المختلفة في مجالات الزراعة والحرف والمهن والتجارة، وإبراز النواحي الاجتماعية لاسيما حول عدد السكان في بعض المدن، وحالة المجتمع وتعايش الناس بعيداً عن التعصب الديني والطائفي، وزيارة الأماكن المقدسة، وبعض الاعتقادات والعادات السائدة وقتئذٍ.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على دراسة المادة العلمية المتعلقة بوصف الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في رحلة ناصر خسرو "سفر نامه"، وتحليلها بشكلٍ مفصل من أجل الكشف عن أهميتها، وتصنيف تلك المادة وفقاً للموضوعات التي تناولتها، بما يفيد إيضاح صورة ذينك البلدين وحضارتهما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كما تمَّ الرجوع إلى العديد من المصادر الجغرافية والتاريخية بهدف المقارنة والتثبت من صحة المعلومات التي أوردها ناصر خسرو، ولإظهار مدى أهمية المادة التي حوتها رحلته، والأمور والأخبار التي انفرد بذكرها، ولم ترد لدى غيره. هذا وقد زوّد البحث بخريطة للجزيرة الفراتية وبلاد الشام توضّح مواقع المدن والأماكن التي زارها ناصر خسرو في هذين البلدين، وتغني عن التعريف بكثير من هذه الأماكن.

النتائج والمناقشة:

2 – لمحة عن حياة ناصر خسرو ورحلته[7]:

هو أبو معين الدين ناصر خسروالقبادياني المروزي، شاعر ورحالة وفيلسوف فارسي، ولد سنة 394هـ/ 1003م، عمل في خدمة الغزنويين [8] ثم السلاجقة [9]، ولما بلغ الثانية والأربعين من عمره، اعتزل منصبه في ديوان الإنشاء والشؤون المالية، وأعلن عزمه على الحج إلى مكة، فبدأ في سنة 437هـ/ 1045م رحلته التي استغرقت سبع سنوات، وفي خلالها زار كثيراً من المدن في خراسان وأذربيجان وأرمينية والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية والعراق، وعاد بعدها إلى بلخ سنة 444هـ/ 1052م، وتوفي في نحو سنة 481هـ/ 1088م[10].

كان ناصر خسرو قد دوّن رحلته المعروفة بـ "سفر نامه"، بعد عودته منها إلى خراسان، واعتمد في تصنيفها على المذكرات التي كتبها أثناء الرحلة، والرسوم التي عملها للطريق، فقد قال بعدما وصف جامع بيت المقدس: "هذا ما رأيت في جامع بيت المقدس، وقد صورته وضممته إلى مذكراتي" [11]، ومن هذا يظهر أن النص الموجود للرحلة حالياً ليس كاملاً، بل هو اختصار لكتاب أطول منه، وأكثر تفصيلاً، وتنقصه الصور وبعض الأوصاف التي وعد بها. وقد اعتمد في تدوين أخبار رحلته بشكل رئيسي على مشاهداته، وقراءاته بعض الشواهد الكتابية، وقياساته التي أجراها بنفسه، وإلى جانب ذلك، أورد بعض الأخبار التاريخية التي سمعها، وصدّرها بكلمة «سمعتُ»، و«قيلَ»، و«يقولُ العوام»، و«يُقال»، و«حكى لي»[12] وغيرها، وجعل مسؤولية صدق هذه الأخبار على راويها[13].

كان خط سير ناصر خسرو في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام مسايراً لطرق القوافل التجارية [14]، وهو كالآتي: فقد دخل أراضي الجزيرة الفراتية قادماً من مناطق أرمينية، فاتجه في طريق جنوبي غربي ماراً بمدن ميافارقين، وآمد، وحران، وبعدها تابع غرباً فعبر بمدن سروج ومنبج وصولاً إلى حلب، ومنها اتجه جنوباً عبر الطريق الداخلي في بلاد الشام مروراً بسرمين ومعرة النعمان حتى حماة، ومنها يمّم وجهه نحو الغرب حتى وصل الساحل، فاتجه جنوباً على الطريق الساحليماراً بمدن عرقة، طرابلس، جبيل، بيروت، صيدا، صور، عكا، ومنها زار طبرية شرقاً ثم عاد إلى عكا، فتابع إلى حيفا، فقيسارية فكفر سابا (كفر سلام)، ثم الرملة، ومنها اتجه إلى بيت المقدس[15]، حيث قام منها بالحج إلى

مكة، ثم عاد إليها عن طريق الشام، وغادر بعدها مناطق بلاد الشام قاصداً مصر، هذا ويبلغ مجموع الأماكن التي زارها في الجزيرة الفراتية وبلاد الشامنحو خمسة وثلاثين موقعاً، ما بين مدينة أو قرية أو قلعة [16]، وفي خلال تنقله بين تلك الأماكن، عني بوصف الطرق، وذكر المسافات فيما بينها، وذكر زمن الوصول أو المغادرة[17].

وقد استغرقت المدة التي قضاها في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام منذ دخوله ميافارقين في أعالي الجزيرة الفراتية شمالاً حتى مغادرته بيت المقدس في فلسطين في الجنوب نحو ثمانية أشهر [18]، وقد قضى منها نحو أربعة أشهر في بيت المقدس، قام خلالها بزيارة بعض المناطق القريبة منها مثل الخليل، في حين كانت رحلته إلى المناطق الأخرى وإقامته فيها قصيرة جداً وسريعة، وعلى الرغم من قصر المدة التي قضاها في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وأنه لم يزر كامل مناطقهما، بل اقتصر على زيارة بعض المناطق فيهما، وبالتالي فإنه قدّم صورة جزئية عنهما، ولكنها ثمينة وغنية بالمعلومات التاريخية عن هذين البلدين، وتعطي صورة للحياة فيهما، وتلقي ضوءاً على الكثير من النواحي فيهما.

3- أخبار من تاريخ الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، والوضع السياسي القائم فيهما:

ذكر ناصر خسرو بعض الأحداث والوقائع التي جرت في تاريخ الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، فقد ضرب زلزال قوي في الرملة في الخامس عشر من محرم سنة 425هـ/ 11 كانون الأول 1033م، فخرّب عماراتٍ كثيرةً، ولكن لم يصب أحد من السكان بسوء [19]، وأغار جيش الروم البيزنطيين على طرابلس مرةً، فدافع عنها جند الخلافة الفاطمية وهزموه، فكافأ الخليفة الفاطمي ولاء المدينة له بأن رفع عنها الخراج [20] «وأقام بها جيشاً من قبله على رأسه قائدٌ لحمايتها من العدو» [21]. هذا ولم يوضّح ناصر خسرو متى كانت تلك الغارة البيزنطية على طرابلس، كذلك لم يذكر اسم الخليفة الفاطمي الذي كافأ تلك المدينة.

وروى أن إمبراطور بيزنطة (ملك الروم) زار كنيسة القيامة (القمامة) في بيت المقدس متخفياً في أيام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[22]، فأرسل إليه هذا الخليفة من بلّغه بأنه قد عرف أمره، وفيما بعد أمر هذا الخليفة بهدم هذه الكنيسة، واستمرت هكذا حتى راسل ملك الروم الخليفة الفاطمي (سلطان مصر)، وتصالح معه، فأعاد تعميرها[23]. وفي هذا ما يثير العديد من التساؤلات، ومنها: ما اسم الإمبراطور البيزنطي الذي زار كنيسة القيامة متخفياً في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله؟ وهل كان مثل هذا الأمر يحصل أحياناً؟ ومتى كانت إعادة بناء كنيسة القيامة؟ وهل كانت إعادة بناءها في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي أمر بهدمها أم في عهد من خلفه؟.

الحقيقة لم يورد ناصر خسرو في رحلته "سفر نامه" ما يفيد في الإجابة عليها، ولكن مع ذلك، فإنه بالرجوع إلى بعض كتب التاريخ، يظهر أن الإمبراطور البيزنطي الذي كان معاصراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله هو باسيل الثاني الذي حكم في القسطنطينية ما بين 976- 1025م[24]، وكان قد نصب على العرش البيزنطي مع أخيه قنسطنطين الثامن[25]، وبالتالي فإن الإمبراطور باسيل الثاني أو أخيه قنسطنطين الثامن هو الذي يجب أن يكون قد زار القدس متخفياً وفقاً لما ذكر ناصر خسرو، ويظهر أن مثل هذا الأمر كان يحصل أحياناً [26]، أما بالنسبة لكنيسة القيامة، فالخليفة الحاكم بأمر الله كان قد أمر بهدمها في سنة 399هـ/ 1009م، وكانت إعادة بناءها في عهد خلفه الظاهر لإعزاز دين الله [27] عندما وقعت الهدنة بينه وبين الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين الثامن في سنة 418هـ/ 1027م، فأقيمت الخطبة للظاهر ببلاد الروم، وفتح الجامع الذي بالقسطنطينية، وعُمل له الحصر والقناديل، وأُقيم به مؤذن، وعند ذلك أذن الظاهر لإعزاز دين الله في فتح كنيسة القيامة التي بالقدس، فحمل إليها ملوك النصارى الأموال والآلات وأعادوها[28].

ولم تكن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام موحدتين سياسياً، بل كانت تتوزع السيادة فيهما عدة قوى، فالولايات من أخلاط إلى ميافارفين وآمد تتبع لدولة الأسرة المروانية التي كان يحكمها نصر الدولة المرواني، وبنى مدينة على مسافة أربعة فراسخ[29] من ميافارقين سمَّاها «الناصرية»[30]. وكان يحكم في حلب معز الدولة ثمال بن صالح المرداسي الذي كان يدين بالطاعة للخلافة الفاطمية في مصر [31]. أما جنوب بلاد الشام بدءاً من طرابلس فيتبع للخلافة الفاطمية في مصر، وقد كانت تلك المناطق والمدن محط اهتمامها، إذ قام بعض خلفائها بتزيين الأماكن المقدسة في فلسطين بالنقوش والقناديل، فقد كان على الرواق الرئيسي في مسجد بيت المقدس «كتابة منقوشة بالمينا، وقد كتب هناك لقب سلطان مصر(الخليفة الفاطمي)، فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحيّر الألباب» [32]، وفي مسجد قبة الصخرة «قناديل كثيرة من فضة، كتب عليها وزنها، أمر بصنعها سلطان مصر، وقد قدّرت ما هناك من الفضة بألف منٍّ» [33]، كذلك يعود للخلافة الفاطمية إقامة مقام الغوري [34] في المسجد الأقصى، وفتح باب لمشهد الخليل في القدس، وإصلاح عمارته، وتزيين جدرانه، وفرشه بالسجاجيد القيّمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسناً[35]، وكان منها حصير الصلاة التي «اشتريت من مصر بثلاثين ديناراً من الذهب المغربي، ولو كانت من الديباج الرومي لما بلغت هذا الثمن، ولم أرَ مثلها في مكان قط» [36]، وكان من أبرز عمائر الخلافة الفاطمية في بيت المقدس مستشفى عظيم جُعلت له أوقاف طائلة، فكان يصرف لمرضاه الدواء، ويأخذ الأطباء مرتباتهم من الوقف[37].

4- وصف المدن والعمائر ومصادر المياه في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام:

اهتم ناصر خسرو بوصف المدن من حيث موقعها وطولها وعرضها وأبنيتها وأسوارها وأبراجها وشرفاتها وأبوابها وحماماتها ومساجدها وغير ذلك من الجوانب الأخرى، فمثلاً وصف آمد قائلاً عنها: «شُيّدت على صخرةٍ واحدةٍ طولها ألف قدم وعرضها كذلك، وهي محاطة بسور من الحجر الأسود... وارتفاع السور عشرون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، وقد بني على بعد كل مائة ذراع برج نصف دائرته ثمانون ذراعاً، وشرفاته من هذا الحجر بعينه، وقد شيدت في عدة أماكن داخل المدينة سلالم من الحجر ليتيسر الصعود إلى السور، وقد بنيت قلعة على قمة كل برج، ولهذه المدينة أربعة أبواب كلها من الحديد الذي لا خشب فيه، يطل كل منها على جهة من الجهات الأصلية، ويسمى الباب الشرقي: باب دجلة، والغربي باب الروم، والشمالي باب الأرمن، والجنوبي باب التل، وخارج هذا السور سور آخر»[38].

ولاحظ أن المدن الساحلية أقيمت في مواقع مرتفعة لا تصل إليها مياه البحر، فأحيطت بأسوار من جهة البحر، وخندق من جهة اليابسة، أو بأسوار من كل الجهات [39]، فقد قال عن صور: هي مدينة ساحلية، «وقد بنيت على صخرة امتدت في الماء، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع، والباقي في ماء البحر. والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سُدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله، وقد قدرت المدينة بألف ذراع مربع، وأربطتها من خمس أو ست طبقات، وكلها متلاصقة».وشيدت مدينة عكا على مرتفع، ولم تشيد في الوادي المنخفض «مخافة غلبة ماء البحر عليها، وخشية أمواجه التي تعج على الساحل[40]».

ولمعظم مدن الساحل ميناء للسفن، وأهم المدن الساحلية التي تميزت بمينائها مدينة عكا، فوصف ناصر خسرو ميناءها قائلاً: «والميناء اسم يطلق على الجهة التي بنيت للمحافظة على السفن، وهي تشبه «الإسطبل»، وظهرها ناحية المدينة، وحائطاها داخلتان في البحر، وعلى امتدادهما مدخل مفتوح طوله خمسون ذراعاً، وقد شدّت السلاسل بين الحائطين، فإذا أريد إدخال سفينة إلى الميناء أرخيت السلسلة حتى تغوص في الماء، فتمر السفينة فوقها، ثم تشد حتى لا يستطيع عدوٌ أن يقصدها بسوء»[41].

وتميزت بعض المدن بأسواقها النظيفة والعامرة، قال ناصر خسرو: «وفي صيدا سوق جميل نظيف، وقد ظننتُ، حين رأيته أنه زين خاصة لمقدم السلطان أو لأن بُشرى سعيدة أذيعت؛ فلما سألت قيل لي هكذا عادة هذه المدينة دائماً، وفيها حدائقٌ وأشجارٌ منّسقة حتى لتقول إن سلطاناً هاوياً غرسها، وفي كل من هذه الحدائق كشك، وأغلب شجرها مثمر»[42].ومن المدن التي تميزت بأسواقها النظيفة والجميلة العامرة أيضاً: طرابلس، صور، وبيت المقدس[43].ولم يفت الرحالة خسروأن يشير إلى وجود الحمامات في بعض المدن، ففي طبرية «حمام ماؤه ساخن فلا يستطيع مستحم أن يصبه على جسده من غير أن يمزجه بماء بارد»[44].

ووصف المساجد والجوامع في المدن والبلدان التي مرَّ بها من حيث موقعها ومساحتها، ومادة البناء والزخارف والنقوش[45]، وعناية السكان بنظافتها وإنارتها وفرشها [46] وغير ذلك، وذكر بعض التفاصيل الهندسية والجمالية عن بعضها، فجميع أسقف المسجد في مدينة آمد على هيئة الجملون [47]، وبني مسجد الجمعة في معرة النعمان «على مرتفع وسط المدينة بحيث يصعدون إليه من أي جانب يريدون، وذلك على ثلاث عشرة درجة»، وفي صيدا «مسجد جمعة جميل يبعث في النفس هيبةً تامةً، وقد فُرِشَ كله بالحصير المنقوش»، كذلك المسجد في قيسارية جميل، «ويرى المصلون البحر ويتمتعون به، وهم جلوس في ساحته»[48].

وخص ناصر خسرو بيت المقدس بكثيرٍ من الوصف، ويشكل وصفه لها قسماً من أهم أقسام كتابه [49]، ويُعد وثيقةً تاريخيةً مهمةً عن أوضاع المدينة المقدسة خصوصاً، وبعض مدن فلسطين الأخرى عموماً، وذلك قبل أن تقع تحت الاحتلال الفرنجي الصليبي[50]، كذلك تعد المعلومات التي قدَّمها عن الحرم الشريف في القدس من أهمِّ وأدقِّ ما وصل إلينا من معلومات عن هذا المسجد، ولعله أول من ضبط أبعاد المسجد الأقصى وقياساته [51]، وقد وصف الأماكن المقدسة في فلسطين لا سيما مسجد قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، ومشهد الخليل، فقدم عنها معلومات غاية في الأهمية من حيث مكان بنائها ومادة البناء، وارتفاع الجدران والطول والعرض، والأرضية والسقف والأعمدة والإيوان والنقوش والزخارف والأبواب والمحاريب والقباب والقناديل والمسارج والأحواض وغير ذلك [52]، ومن التفاصيل التي لاحظها قوله: «إن مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل، وإن أرضها غير مستوية، أما المسجد، فأرضه مستوية، فخارج المسجد، حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه، إذ يكون أساسه في أرضٍ واطئةٍ، وحيثما تكون الأرض مرتفعة يقصرُ الجدار»[53].

ولم يغفل ناصر أن يتحدث عن الكنائس في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، فقد ذكر وجود كنيسة عظيمة غنية بالزخارف في آمد [54]، كما تحدث عن كنيسة القمامة (القيامة) في بيت المقدس، وهي ذات مكانة عظيمة لدى النصارى، ويحج إليها كل سنة كثيرٌ من بلاد الروم، وهي كنيسة فسيحة تتسع لثمانية آلاف رجلٍ، ومزخرفة ومزينة بالرخام الملون والنقوش والصور والديباج الرومي وبطلاء من الذهب[55].

وتختلف مادة البناء بين مدينة وأخرى، فعمارات آمد كلها من الحجر الأسود، أما ميافارقين، فعماراتها من الحجر الأبيض[56]، وعمارات الرملة وفلسطين من الرخام المنقوش الكثير الزينة[57].وقدَّم بعض الملاحظات المهمة عن الأبنية في المدن، فأبنية حلب متلاصقة، ولم يكن خارج مدينة منبج عمارات قط، وهناك بعض المدن لا سور لها كما هو الحال مع مدينة سرمين، وتوجد في طرابلس أربطة تتألف من أربع أو خمس طبقات ومنها ما هو ست طبقات، وهناك بيوت على مثال الأربطة، ولكنها غير مسكونة، ولا يوجد خارج طرابلس بيوت أبداً، وكذلك أربطة صور تتألف من خمس أو ست طبقات، وكلها متلاصقة، وفي كثير منها نافورات، أما أبنية بيت المقدس، فتتميز بأنها عالية، وكل أرضها مبلّطةً بالحجارة[58]. ويظهر من خلال وصف الأبنية في بعض المدن لاسيما في طرابلس وصور أن حالة من

الرخاء الاقتصادي الواسعة كانت تسود في بعض المدن، ولكن هناك بعض الأمور التي تثير التساؤل، ومنها: ما الهدف من بناء تلك الأربطة الكبيرة في هاتين المدينتين؟ وهل كان بناؤها لأسباب عسكرية ومرابطة المقاتلين فيها، أم أنها بنيت للأغراض التجارية؟.

بدون أدنى شك لم يكن بناء تلك الأربطة لسكن السكان المحليين، بدليل أن بعضها كان غير مسكونٍ، وبالتالي فإنها بنيت لاستقبال الوافدين سواء لغايات عسكرية أوتجارية، هذا ومن المعروف أن الأربطة بنيت بدايةً بصفتها أماكن محصنة يسكنها المتطوعون الذين أوقفوا حياتهم على التعبد، وحماية حدود الإسلام، وقد تطور استخدام هذا المصطلح حتى صار يعني في المدن والمفاوز (الفنادق أو مأوى الفقراء) [59]، هذا ومن المرجح أن المقصود بالأربطة التي ذكرها ذلك الرحالة في طرابلس وصور هو الفنادق التي تستخدم للأغراض التجارية.

ولم يفت ناصر خسرو أن يتحدث عن حماية بعض المدن، فقد كان هناك اهتمام كبير بحماية المدن الساحلية ووقايتها من هجمات العدو، ففي الجانب الشرقي من طرابلس وجدت «قلعة من الحجر المصقول عليها شرفات[60]ومقاتلات[61]من الحجر نفسه، وعلى قمتها عرادات لوقايتها من الروم، فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن»[62].

وعَنِيَ ناصر خسرو بذكرِ بعض المجاري والمسطحات المائية والعيون ووصفها، ومنها: نهر العاصي، وبحيرة طبرية، وبحر لوط (البحر الميت) ، كما أشار إلى بعض عيون الماء التي شاهدها، ومنها: عين مدينة آمد، وعين البقر عند الباب الشرقي لعكا، «ويقال إن آدم عليه السلام هو الذي كشفها»، وهناك عين الماء التي تخرج من الصخر شرقي عكا، وعيون قيسارية الجارية، وعين قرية العنب قرب الرملة، وعين سلوان قرب بيت المقدس، وعين قرية مطلون في الخليل[63].

وتتنوع مصادر المياه التي تزود المدن والبلدات بالماء بين العيون والآبار والأنهار وماء الأمطار وغيره، وقد استخدم الناس وسائل متعددة في توصيل المياه من مصادرها إلى تكوينات المدينة سواء بالقنوات والأنابيب أو بالبرك والجداول والأحواض أو بالنقل على ظهور الدواب، ففي وسط مدينة آمد «عين يتفجر ماؤها من الحجر الصلب، وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفي لإدارة خمس طواحين، وهو غاية في العذوبة، ولا يعرف أحد من أين ينبع، وفي المدينة أشجار وبساتين تُسقى من هذا الماء»[64]، وماء معرة النعمان من المطر والآبار[65]، وتعتمد حماة في مياهها على نهر العاصي الذي نصب عليه سواقي كثيرة [66]، وفي سوق طرابلس مشرعة [67] ذات خمسة صنابير يخرج منها ماءٌ كثيرٌ، فيأخذ الناس حاجتهم منه، ويفيض الباقي نحو البحر، وتأتي المياه إلى صور من الجبل، ويشرب من بحيرة طبرية سكان مدينة طبرية وجميع السكان التي على شاطئها [68]، وتعتمد مدينة الرملة على ماء المطر، «ولذا فقد بُنِيَ في كلِّ منزلٍ حوضٌ لجمع مياه المطر، فيبقى ذخيرة دائمة، وفي وسط مسجد الجمعة أحواض تمتلئ بالماء، فيأخذ منه من يشاء»[69]، كذلك بيت المقدس ليس بها ماء غير الأمطار، لذلك كانوا يحفرون في جدران المنازل ميازيب من الرصاص لتصريف مياه الأمطار من أسطح المنازل إلى أحواضٍ حجريةٍ وصهاريج مخصصة لجمعها، وتستعمل هذه المياه في الشرب والحمامات وغيرها[70].

5- الوضع الاقتصادي في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام:

اشتُهِرت بعضُ المدن والبلدان بمزروعاتها وأشجارها المثمرة وغير المثمرة، فأكثر زراعة السكان في معرة النعمان هو القمح، وهو بها كثير، «وفيها شجرٌ وفيرٌ من التين والزيتون والفستق واللوز والعنب» [71]، وحول طرابلس المزارع والبساتين، وكثيرٌ من قصب السكر وأشجار النارنج [72] والترنج[73] والموز والليمون والتمر، وجادت حول جبيل زراعة

النخيل وغيره من أشجار المناطق الحارة، واشتُهرت صيدا بزراعة قصب السكر وحدائقها وأشجارها المنسّقة، وأغلب شجرها مثمر، وتميزت حيفا بالنخيل وأشجارها الكثيرة، وبقيسارية ماء جار ونخيل وأشجار النارنج والترنج، وفي الطريق منها إلى الرملة كثير من شجر التين والزيتون، واشتُهرت الرملة بإنتاج أجود أنواع التين الذي يصدر منها إلى جميع البلاد[74]، وتنبت كل الزراعات والأشجار في بيت المقدس بعلاً بغير ماء، وأهم الأشجار فيها الزيتون والتين والسماق، وأغلب الزراعة فيها الشعير، وإلى جانبه يزرع القمح ولكن بنسبة أقل [75]. وهناك بعض النباتات والأشجار التي تنبت برياً، ومنها نبات السذاب[76] الذي ينمو على الجبال وفي الصحراء، وكان ينتشر بكثرة في الطريق من الرملة إلى بيت المقدس[77].

وتنوعت النشاطات الحرفية والمهنية التي أنتجت ورشاتُها أنواعاً مختلفةً من الأدوات والحاجات، فقد تميزت بعض المناطق والبلدان ببعض الحرف والمهن، فقد اشتُهرت طرابلس بإنتاج عسل السكر، وبصنع الورق الجميل الذي يفوق الورق السمرقندي في حسنه [78]، وكان هناك استخراج شيء كالحجارة السوداء (القار) من قاع بحر لوط (البحر الميت)، واستخدامه لحماية الأشجار من الدود والحشرات، وصناعة الحصر في طبرية، وصناعة السفن البحرية المسماة بالجودي في حيفا[79].وتميزت مدينة الرملة بكثرة الرخام فيها من كل لون: الملمّع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذي استخدم في تزيين أبنيتها، «ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له وبالرمل المكي، ويعملون المنشار على أعمدة الرخام بالطول لا بالعرض، فيخرجون منه ألواحاً كألواح الخشب» [80]. وعُرفت بيت المقدس بأسواقها الجميلة، وفيها صناع كثيرون، و«لكل جماعة منهم سوق خاصة»، «وهناك طواحينٌ كثيرةٌ تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق»[81].

واشتُهرت بعض المدن والمناطق بمركزها التجاري، ودورها الكبير في التجارة، إذ كانت على خطوط عالمية للتجارة، وتحصل فيها الضرائب عما يمر بها من تجارات، فقد تميّزت حلب بموقعها على طرق التجارة الواصلة إلى بلاد الروم، ومناطق بلاد الشام كحماة وحمص ودمشق وأنطاكية وطرابلس وغيرها، وإلى مصر والعراق وديار بكر، فكان يأتي إليها التجار من جميع هذه البلاد، وتحصل فيها المكوس عما يمر بها من تجارات [82]، واشتُهرت طرابلس بمينائها، فكانت السفن تأتي إليها من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب، فتحصل منها ضريبة العشر [83]، ويدفع من هذه الضريبة أرزاق الجند، كذلك كان بها سفنٌ تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة[84].

واختلفت النقود والموازين المستخدمة من منطقة لأخرى، فالمعاملة في أخلاط بالنقود النحاسية، والوزن بالرطل، ومقداره ثلاثمائة درهم [85]، والوزن في ميافارقين بالرطل ومقداره أربعمائة وثمانون درهماً، كذلك الوزن في سوق حلب بالرطل، وهو المعروف بالرطل الظاهري، وهو أربعمائة وثمانون درهماً [86]، أما في طبرية وجنوب بلاد الشام، فكان التعامل بالجنيهات المغربية [87].وذكر الرحالة حالة الأسعار في بعض المناطق، فقد كان سعر حصير الصلاة التي تصنع في طبرية بخمسة جنيهات مغربية [88]. وأشار إلى بعض الصادرات في بعض المناطق، ففي الرملة صنفٌ من التين ليس أحسن منه في أيَّ مكانٍ، ويصدر منها إلى جميع البلاد، وتميزت بيت المقدس بتصدير الزيت[89].

6- الأحوال الاجتماعية في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام:

لم يفت ناصر خسرو أن يُورد بعض المعلومات الاجتماعية، فقد ذكر عدد سكان بعض المدن، فقال إن في طرابلس عشرين ألف رجلٍ، وكذلك في بيت المقدس عشرين ألف رجل [90]، ولكن دون أن يذكر من أين حصل على هذين الرقمين؟ وما المقصود بكلمة رجل؟ ولماذا أغفل النساء والأطفال إذا لم يكن المقصود بكلمة رجل شخصاً؟.

كذلك أشار إلى مذهب السكان في بعض المدن لا سيما في طرابلس وطبرية وصور الذين كانوا من الشيعة[91]، وروى أنه مع ذلك كان قاضي صور رجلاً سنياً اسمه ابن أبي عقيل، «وهو رجل طيب ثري، وقد بنى على باب المدينة

مشهداً به كثير من السجاجيد و{الحصر} والقناديل والثريات المذهبة والمفضضة» [92]، وفي هذا ما يشير إلى أن المجتمع كان يعيش في حالة من التعايش السلمي، وبعيداً عن التعصب الطائفي والديني، وبغض النظر عن الحسابات المذهبية أو الدينية، ووجدت طائفة كبيرة من المتصوفة في بيت المقدس، وكان لهم صومعتان خارج باب مسجد قبة الصخرة[93].

ولم يغفل ناصر خسرو المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين وغير المسلمين، إذ كانت تعج بأماكن العبادة والتأمل الديني، فكان يذهب إليها في موسم الحج المسلمون الذين لا يستطيعون الذهاب إلى مكة، ويبلغ عددهم في بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخصٍ، ومعهم أبناؤهم، كما يأتي إليه من ديار الروم كثيرٌ من النصارى واليهود، وذلك لزيارة الكنيسة والكنيس (معبد اليهود) هناك، كما كانت مقصداً للزهاد والمتصوفة [94]. كذلك كانت المشاهد الدينية للأنبياء والصالحين في شرق عكا حتى طبرية مقصداً لرجال الدين والصالحين للزيارة والتبرك[95].

وركّزَ على ذكر بعض اعتقادات العامة، فقد روى أن بعد الجامع في بيت المقدس «سهلٌ كبيرٌ مستوٍ يسمى «الساهرة»، ويقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر، ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم، ويقيمون به حتى يموتوا، فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد»، «وعلى حافة هذا السهل قرافة (مقبرة) عظيمةٌ ومقابرُ كثير من الصالحين يُصلي بها الناس، ويرفعون بالدعاء أيديهم، فيقضي الله حاجاتهم»، ومن اعتقادات العامة أيضاً أن من يذهب إلى نهاية وادي جهنم في بيت المقدس يسمع صياح أهل جهنم، والصدى يرتفع من هناك، ومن يستحم بماء عين سلوان في بيت المقدس «يشفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة»[96].

ولاحظ ناصر عناية أهل القدس بالزوار والمسافرين والفقراء وتزويدهم بالطعام، ففي مشهد الخليل حجرات للضيوف الوافدين، وقد وقف عليها أوقافٌ كثيرةٌ من القرى ومستغلات بيت المقدس بهدف مواصلة العناية بهذه المشاهد وصيانتها، كما أن الناس في منطقة الخليل وبيت المقدس «يعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون... وبالمضيفة خادماتٌ يخبزن طول اليوم، ويزن رغيفهم منّاً واحداً، ويعطى من يصل هناك رغيفاً مستديراً، وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت، وزبيباً كل يوم. وهذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة، وفي بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمسمائة، فتُهيأ الضيافةُ لهم»[97].

خاتمة:

إن المادة التي قدمها ناصر خسرو في رحلته "سفر نامه" عن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام جاءت غنية بوصف المظاهر الحضارية والاقتصادية والاجتماعية، وحوت بعض الأخبار التاريخية من تاريخهما، كما ورد فيها ذكر للوضع السياسي القائم في كل منهما، ولكن من دون التفصيل في شرح ذلك الوضع،وقد ظهر من خلالها أن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام لم تكن موحدتين سياسياً، بل كانت موزعة بين دولة الأسرة المروانية في ديار بكر، والدولة المرداسيةفي حلب، والخلافة الفاطمية التي كانت تسيطر على القسم الجنوبي من بلاد الشام؛ هذا وإن المقارنة بين ما أورده ناصر خسرو من أخبار تاريخية، وما عرضه عن الوضع السياسي القائم في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وبين ما ورد في المصادر التاريخية، يظهر أن هناك تطابقاً بينهما في كثيرمن الأخبار، وفي هذا ما يؤكد على أمانة ناصر خسرو العلمية، وحرصه على الدقة في عرض معلوماته.

وقد تبين أن المدن كانت مبنية– بشكل عام– في مواقع متميزة، وكان هناك اهتمام كبير بحمايتها، إذ كانت في معظمها محاطة بأسوار، أما بالنسبة للمدن الساحلية، فكان تحصينها من خلال بناء الموانئ والدفاعات العسكرية، وقد

برز أن السكان عنواعناية كبيرة بنظافة مدنهم، وتزيين مبانيها المختلفة من دينية كالمساجد والكنائس، ومدنية كالبيوت والحمامات وغيرها، والعسكرية كالقلاع وغيرها، هذا وقد تعددت مصادر مياه الشرب التي اعتمد عليها السكان، فبينما تميزت بعض المدن والبلدات بعيونها وينابيعها، اعتمد السكان في مناطق أخرى على مصادر أخرى كمياه الأمطار أو الأنهار أو الآبار وغيرها.

لقد جادت زراعة أنواع عديدة من الزراعات والأشجار في كثير من المناطق، كما وجد العديد من الحرف والمهن، واشتهرت بعض المدن بمركزها التجاري، ودورها في التجارة العالمية، واختلفت النقود والموازين التي استخدمها السكان بين منطقة وأخرى. أما فيما يخص المجتمع، فقد كان الناس يعيشون في حالة من الهدوء والتعايش السلمي بعيداً عن التعصب الطائفي والديني، واهتموا بزيارة الأماكن المقدسة والمشاهد الدينية، وشاع بينهم العديد من الاعتقادات والتقاليد المختلفة.

هذا وإن المقارنة بين ما أورده ناصر خسرو في النواحي العمرانية، ومصادر المياه، والنواحي الاقتصادية من زراعة وحرف ومهن وتجارة، والنواحي الاجتماعية من عادات وتقاليد وأعداد السكان، ومقارنتها بما يرد في بعض المصادر الجغرافية، يظهر أنه تفرد بذكر العديد من الأخبار والأمور التي لم ترد لدى غيره، وفي هذا ما يزيد من أهمية رحلته "سفر نامه" بصفتها مصدراً لا غنى عنه لحضارة وتراث الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وهكذا فإن ما قدمه ناصر خسرو في رحلته عن ذينك البلدين، يظهر غنى وتنوع الموروث الحضاري والاقتصادي والاجتماعي فيهما في ذلك القرن، ويعطي صورة عن حالة العصر فيهما في الميادين المختلفة.

الحواشي

(1) ابن حوقل، محمد بن علي (ت، نحو 367هـ/ 977م). *صورة الأرض*. ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1938م؛ ص207– 208، 225؛ المقدسي، محمد بن أحمد (ت، نحو 380هـ/ 990م). *أحسن التقاسيم*.مطبعة بريل، ليدن، 1906م، ص136– 137، (تحدث عن الجزيرة الفراتية تحت اسم إقليم أقور)؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت، 626هـ/ 1229م). *معجم البلدان* . بيروت، دار صادر، ط2، 1995م، مج2، ص134 (جزيرة أقور)، ص494 (ديار بكر، ديار ربيعة، ديار مضر)؛ لسترانج ، كي . *بلدان الخلافة الشرقية* .تر : بشير فرنسيس ،كوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1373هـ – 1954م، ص114.

(2) الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت، 346هـ/ 957م). *المسالك والممالك* . تح: محمد الحيني، دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ– 1961م، ص43؛ ابن حوقل، *صورة* ، ص165؛ وحول جغرافية الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، انظر: الخريطة في أخر البحث.

(3) الحموي، معجم *البلدان*، مج3، ص312.

(4) محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير،: كان رجلاً جليلاً وفاضلاً، لا يعرف الكثير عن حياته لعدم وجود ترجمة له في المصادر المتوافرة، غير ما ذكره ابن العديم عنه أثناء النقل عن روزنامج «دفتر يوميات»، كان قد صنفها هذا الكاتب على سبيل التذكرة لولده واصفاً فيها رحلته من بلاد أذربيجان إلى الحج في مكة المكرمة، وعودته منها؛ ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م). *بغية الطلب* .تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م، مج 1، ص127؛ مج 2، ص900– 902.

(5) إبراهيم بن أحمد بن الليث الأذري الكاتب: كاتب ولغوي من أبناء أذربيجان، قام برحلة من بلاده إلى بلاد الشام، فوصل دمشق سنة 432هـ/ 1040م، كتب رسالة عما رآه في طريقه، ومن لقي من العلماء والأدباء، ولم يبق من هذه الرسالة، غير شذرات قليلة؛ ابن عساكر، علي بن الحسن (ت، 571هـ/ 1175م). *تاريخ مدينة دمشق* . تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت،

1415هـ - 1995م، ج2، ص 264؛ ج6، ص248؛ ابن العديم، بغية، مج 1، ص110، 141، 149، 357- 358؛ مج2، ص707، 881- 882؛ مج10، ص4740.

(6) المختار بن الحسن ابن بطلان: طبيب من أبناء بغداد،غادرها سنة 439هـ/ 1047م قاصداً مصر للقاء الطبيب المصري علي بن رضوان، فوصلها سنة 441هـ/ 1049م، فأقام فيها ثلاث سنوات، ثم غادرها إلى بلاد الشام، فقضى بقية حياته فيها حتى توفي سنة 458هـ/ 1065م؛ ومن مؤلفاته: "كتاب دعوة الأطباء"، و"كتاب تقويم الصحة"، و"مقالة في شرب الدواء المسهل"، وغيرها؛ القفطي، علي بن يوسف (ت، 646هـ/1248م). *إخبار العلماء* . مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت)، ص 192- 207؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت، 668هـ/ 1269م).*عيون الأنباء* . ضبطه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م، ص300- 302.وكان ابن بطلان قد كتب رسالة عن مشاهداته في طريقة إلى مصر ، وقد أرسلها إلى هلال بن المحسن الصابئ (ت، 448هـ./ 1056م)، ولكن لم يبق من هذه الرسالة غير بعض المقتطفات التي ترد لدى كل من: ياقوت الحموي، معجم البلدان، في مواد المدن والأماكن الآتية: أنطاكية، حلب، دير سمعان، رصافة الشام، عِمُّ، يافا؛ ج 1، ص267؛ ج2، ص283، 517؛ ج3، ص47؛ ج4، ص157؛ ج5، ص426؛ القفطي، *إخبار العلماء*، ص193 - 195؛ ابن العديم، *بغية*، مج1، ص61 - 62، 85 - 86، 459.

(7) من الأهمية الإشارة إلى أنني لن أفصل في الحديث عن حياة ناصر خسرو ومنهجه في رحلته، ونظراً لأنني تناولت هذا الأمر بشكل مفصّل في بحث أعددته بعنوان "رحلة ناصر خسروالقبادياني "سفر نامه" (قراءة جديدة).

(8)الغزنويون: سلالة من أصول تركية، أسسوا دولة في المنطقة الشرقية للخلافة العباسية في القرن 4هـ/10م، واستمرت أكثر من قرنين من الزمن؛ للمزيد عنهم، انظر: زكار، سهيل. أبو الفضل، سميحة. *تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني* . ط2، جامعة دمشق، 1428هـ- 2007م، ص129- 150.

(9) السلاجقة: أسرة من أصول تركمانية، تسيّدت على القبائل التركمانية، وسيطرت على خراسان في القرن 5هـ/ 11م، ثم مدّت نفوذها إلى العراق، فقضت على البويهيين، وسيطرت على الخلافة العباسية؛ للمزيد عن السلاجقة، انظر: زكار. أبو الفضل*تاريخ الدولة العربية*، ص198- 294.

(10) لمزيد من التفاصيل عن حياة ناصر خسرو وثقافته ومؤلفاته، انظر: ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م). *سفر نامه* . تر: يحيى الخشاب، ط 2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، مقدمة المترجم، ص11-41؛ تامر، عارف.*تاريخ الإسماعيلية* . ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص ، 1991م، ج4، ص146- 150؛ براون، إدوارد. *تاريخ الأدب في إيران* .تر: إبراهيم الشواربي، ط 1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ - 2004م، ص246- 250، 258، 265- 303؛ هنزيبرغر، أليس. *ناصر خسرو ياقوتة بدخشان* . تر: سيف الدين القصير، ط 1،دار المدى، دمشق، 2003م، ص23- 45؛ صفا، ذبيح الله .*تاريخ أدبيات إيران* . انتشارات فردوس، تهران، 1383هـ، ج 1، ص273- 276.

(11) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص83.

(12)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64، 67- 68، 76، 91، 94- 95، 102، 116- 117، 122، 135، 171،167.

(13) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64، 119، 162، 179.

(14) حول الطرق التجارية في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، انظر: ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت، 300هـ/ 912م). *المسالك والممالك*.تح: خير الدين قبلاوي، وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، ص132- 135، 161.

(15) حول أماكن المواقع الجغرافية التي مرّ بها، انظر: الخريطة في أخر البحث.

(16) من الأهمية الإشارة إلى أن القسم الأول من رحلة ناصر خسرو جاء بعنوان "وصف الشام وفلسطين"، وهو يحتوي على مقدمة الرحلة، ووصف الأماكن التي عبر بها قبل دخوله مناطق الجزيرة الفراتية، أما وصف الجزيرة الفراتية وبلاد الشام فيمتد من صفحة 51، إلى صفحة 89، وذلك حسب الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

[17] ناصر خسرو، سفر نامه، ص51– 52، 54– 55، 57، 59، 61– 62، 64– 66، 83– 84، 87– 88.

[18] كان دخول ناصر خسروميافارقين في أعالي الجزيرة الفراتية شمالاً في 26جمادي الأول سنة 438هـ/30 نوفمبر 1046م، وغادر بيت المقدس في المحرم سنة 439هـ/ يوليو 1047م، ناصر خسرو، سفر نامه، ص 51، 88 ؛ وبالتالي فإن الأشهر التي قضاها في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام (وبما فيها حجه إلى مكة من بيت المقدس) هي: جمادي الآخر، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذي القعدة، ذي الحجة من سنة 438هـ/ 1046م، وشهر محرم من سنة 439هـ/ 1047م.

[19] ناصر خسرو، *سفر نامه* ، ص65– 66؛ قارن بما يرد عن زلازل سنة 425هـ/ 1033م لدى كل من: الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت، 458هـ/ 1066م). *تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا* .تح : عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، 1990م، ص439؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت، 630هـ/ 1232م). *الكامل في التاريخ* . تح: عمر تدمري، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1424هـ– 2004م، ج7، ص765.

[20] الخراج والخرج بمعنى واحد، وهو أن يؤدي العبد إليك خراجه أي غلته، وقيل للبلاد التي فتحت صلحاً ووظف ما صولحوا عليه على أرضهم، خراجية، لأن تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذي لزم الفلاحين، وهو الغلة؛ الحموي،*معجم البلدان*، مج1، ص40.

[21] ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص58.

[22] الحاكم بأمر الله: منصور بن العزيز بالله ، سادس الخلفاء الفاطميين، وثالث من حكم منهم في مصر، حكم بين سنة 386هـ/ 996م، و411هـ/ 1021م؛ المقريزي،أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441م). *إتعاظالحنفا* .تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ– 2001م، ج1، ص325– 401.

[23] ناصر خسرو،*سفر نامه*، ص88– 89.

[24] باسيل الثاني: إمبراطور بيزنطي من أبناء الأسرة المقدونية، تولى سنة 976م، واستمر حتى توفي سنة 1025م، وكان قد نصب على العرش مع أخيه قنسطنطين الثامن، فحكم الاثنان معاً، إذ اهتم باسيل الثاني بتسيير دفة الحكم، فيما انصرف أخوه إلى اللهو؛ العريني، السيد الباز .*الدولة البيزنطية*. دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص567– 716.

[25] قنسطنطين الثامن (1025– 1028م): شقيق الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني، وخليفته على الحكم، ظل قسيماً له في الحكم نحو نصف قرن، تميز بالخمول والانصراف إلى اللهو، لذلك لما تولى الحكم بعد وفاة أخيه في عام 1025م، كان إمبراطوراً اسماً لا فعلاً؛ العريني، *الدولة البيزنطية*، ص716– 721.

[26] روى ابن القلانسي أن الخليفة الفاطمي الحاكم عندما همّ بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس، سأل ختكين العضدي الداعي، عن أمر النصارى في قصدهم هذه البيعة (كنيسة القيامة)، وكان ختكين يعرف أمرها بكثرة تردده إلى الشام، "فقال: هذه بيعة تقرب المسجد الأقصى تعظمها النصارى أفضل تعظيم، وتحج إليها عند فصحهم من كل البلاد، وربما صار إليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكرين، ويحملون إليها الأموال الجمّة والثياب والستور والفروش، ويصوغون لها القناديل والصلبان والأواني من الذهب والفضة"؛ ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت، 555هـ/ 1160م) .*تاريخ دمشق* . تحقيق: سهيل زكار، ط 1،دار حسان، دمشق، 1403هـ– 1983م، ص108.

[27] الظاهر لإعزاز دين الله: علي بن الحاكم بأمر الله، سابع الخلفاء الفاطميين، ورابع من حكم منهم في مصر، بويع بالخلافة سنة 411هـ/ 1021م، واستمر حتى توفي سنة 427هـ/ 1035م ؛ المقريزي، *إتعاظ*، ج2، ص3– 44.

[28] الأنطاكي، *تاريخ*، ص279– 280؛ المقريزي، *إتعاظ*، ج1، ص371، (حوادث سنة 398هـ)؛ ج2، ص41.

[29] الفرسخ: يتألف من 3 أميال، وكل ميل 1000 باع، وكل باع 4 أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6 كم؛ هنتس، فالتر. *المكاييل والأوزان الإسلامية*. تر: كامل العسلي، ط2، الجامعة الأردنية، عمّان،(د. ت)، ص94.

[30] ناصر خسرو ، *سفر نامه*، ص50– 53؛ يعد نصر الدولة المرواني أحمد بن مروان من أشهر حكام الدولة المروانية في منطقة ديار بكر، استمرَّ حكمه لمدة زادت على الخمسين سنة ما بين 401هـ/ 1011م و453هـ/ 1061؛ الفارقي، أحمد بن يوسف (ت، بعد 572هـ/ 1176م). *تاريخ الفارقي* .تح : بدوي عبد اللطيف عوض،الهيئة العامة لشؤون المطابع

الأميرية،القاهرة، 1379هـ- 1959م، ص93 - 177؛ وحول بناء مدينة الناصرية، انظر: الفارقي،*تاريخ الفارقي*، ص141- 142؛ ابن شداد، محمد بن علي (ت، 684هـ/ 1285م).*الأعلاق الخطيرة* . تح: يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م، ج3،القسم الأول، ص 358- 359.

(31) ناصر خسرو،*سفر نامه*، ص129. 130؛ معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس: من أبرز حكام الدولة المرداسية في حلب وشمال بلاد الشام، تولى الحكم خلفاً لأخيه نصر بن صالح في سنة 429هـ/ 1037م، واستمر يحكم - بشكل شبه مستمر- حتى توفي 454هـ/ 1062م؛ ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م). *زبدة الحلب* .تح: سهيل زكار، ط 1،دار الكتاب العربي، دمشق، 1418هـ - 1997م، ج1، ص215 . 246 .

(32) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص57، 70، 80، 82، 85، 87 . 88.

(33) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص 80؛ المن: جمعه أمنان، وهو كيل أو ميزان، وهو شرعاً / 180/ مثقالاً، وعرفاً / 280/ مثقالاً؛*المنجد في اللغة والأعلام* . ط33،دار المشرق، بيروت، 1992م، ص776، مادة «من»؛ وكان المن الشرعي على الدوام في سورية زنة/ 260/ درهماً، ولما كان وزن الدرهم السوري 3,15 غم، فيكون وزن المن / 819/ غم؛ هنتس، *المكاييل*،ص46.

(34)ذكر ابن شداد أن في المسجد الأقصى قبة "أنشئت أيام الإمام الظاهر لإعزاز دين الله، وكملت في سلخ ذي القعدة سنة 426هـ. وهي كلها بالفص المذهب الكتابة والتوريق، وعلو هذه القبة ستون ذراعاً"؛ ابن شداد. *الأعلاق الخطيرة، (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين)* . تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، 1387هـ- 1962م، ص286- 287؛ بنى مقام الغوري أنوشتكينالختنيالدزبري أمير الجيوش وحاكم سورية الفاطمي، ولي دمشق سنة 419هـ/ 1028م، وتوفي في حلب سنة 433هـ/ 1041م؛ الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م).*تحفة ذوي الألباب* . تح : إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان،ط2، دار البشائر، دمشق، 1419هـ- 1999م، ص338- 339.

(35) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص82، 85، 87؛ الديباج: هو نسيج حريري موشى ومزركش بخيوط من الذهب والفضة، وبأشكال متنوعة ورسوم حيوانات وغيرها؛ زيود، محمد أحمد. *التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي* . جامعة دمشق، 1415هـ- 1994م، ص128.

(36) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص85.

(37) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص68؛ وكان من عمائر الفاطميين في فلسطين أيضاً: بناء سور مدينة الرملة، وسور مدينة القدس الشريف في سنة 425هـ/ 1033م بأمر من الخليفة الظاهر؛ الأنطاكي، *تاريخ*، ص439.

(38) ناصر خسرو، *سفر نامه* ، ص52- 53؛ قال ابن حوقل عن آمد: "ومدينة آمد على جبل من غربي دجلة ... وعليها سور أسود من حجارة الأرحية، ويسمّى ذلك السور ميموناً لشدَّة سواده"؛ *صورة*، ص222.

(39) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص58، (طرابلس محاطة بسور من جهة البحر، وخندق من جهة اليابس)؛ ص59،(جبيل محاطة بسور شاهق الارتفاع).

(40) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص60- 61.

(41) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص61؛ كان قد تمَّ بناء ميناء عكا وتحصيناته في القرن 3هـ/ 9م من قبل أبي بكر البناء - وهو جد الجغرافي المقدسي - وذلك بطلب من أحمد بن طولون، «ثم جعل على الباب قنطرة، فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء، وتجرُّ السلسلة مثل صور»؛ المقدسي، *أحسن*، ص163؛ ووصف المهلبي عكا بأنها مدينة جليلة، "ولها مينا جليل واسع كانت الصناعة به"؛ المهلبي، الحسن بن أحمد (ت، 380هـ/ 990م). *الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك* . جمعه: تيسير خلف، ط1، دار التكوين، دمشق، 2006م، ص101.

(42) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص60.

(43) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص47، 51، 58، 60، 67.

(44) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص63؛ قارن بما قاله المقدسي عن حمامات طبرية، *أحسن*، ص161، 185.

(45) انظر على سبيل المثال: «وصف جامع آمد»، ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص53.

(46) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص63، 73.

(47) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص53؛ "الجملون: من البناء محركة ما كان على هيئة سَنَام الجمل"؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت، 1205هـ/ 1790م). *تاج العروس*. تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ- 1994م، مج14، ص124، مادة (جمل)؛ والجملون: هو أنموذج من نماذج تسقيف الأبنية في المناطق ذات الهطولات المطرية الغزيرة، وهو عبارة عن سقف مؤلف من سطحين مائلين متلاقيين في القمة، والمرادف له سقف سنامي؛ ريحاوي، عبد القادر. *قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية*. وزارة الثقافة، دمشق، 2000م، ج2، ص665.

(48) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص56، 60، 65.

(49) كراتشكوفسكي، أغناطيوس .*تاريخ الأدب الجغرافي العربي* . تر : صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م، قسم 1، ص259؛ حميدة، عبد الرحمن . *أعلام الجغرافيين العرب* . ط2، دار الفكر، دمشق، 1400هـ. – 1980م، ص270.

(50) خلف، تيسير. *موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين*.ط1،دار كنعان، دمشق، 2010م، ج1، ص83.
-LESTRANGE; G. Palestine Under the Moslems, Beirut, 1965, p6.

(51) زيادة، نقولا.*رواد الشرق العربي في العصور الوسطى*. الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م، ص161.

(52) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص68 – 86؛ قارن مع ما كتبه المقدسي عن الأماكن المقدسة؛ *أحسن*، 168- 171.

(53) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص76؛ قارن بما قاله المهلبي عن موقع المسجد الأقصى؛ *الكتاب العزيزي*، ص71.

(54) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص54.

(55) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص88 – 89؛ المهلبي، *الكتاب العزيزي*، ص80.

(56) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص54؛ قال ابن حوقل عنميافارقين: "وميافارقين مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من حجارة وفصيل وخندق عميق، مصطكة العمارة، ضيّقة الأسواق، وبها مسجد جامع لا بأس به"؛ *صورة*، ص224.

(57) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص66.

(58) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص55، 58 – 60، 67.

(59) ميكيل، أندريه.*جغرافية دار الإسلام البشرية*. تر: إبراهيم خوري، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ج4، ص89، 92.

(60) الشرفة: جمع شرفات وشراريف، هي نهاية الشيء أو حافته، وقد استخدمت للدلالة على ما يوضع على أعالي القصور وأسوار المدن وواجهات المساجد ونحوها، وكانت تعمل من الحجر أو الآجر في العمائر، ومن الخشب أو المعدن في الأبواب... وكانت الشرفات النباتية منها الأكثر شيوعاً واستخداماً. أما الشرفات المسننة، فكانت قاعدتها أعرض من قمتها من أجل متانة تثبيتها، وكان لهذا النوع من الشرفات وظيفة حربية أصلاً، لأنها تقوم في أعلى الحصون والأسوار بعمل المزغلة التي تمكن الجند من رؤية الأعداء، وتسمح بتسديد الرماح والسهام إليهم، وتهيئ لهم في نفس الوقت الحماية اللازمة من سهامهم؛ رزق، عاصم محمد. معجم *مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية*. ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص161.

(61) المُقاتِلة: القوم الذين يصلحون للقتال؛ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت، 711هـ/ 1311م). *لسان العرب*. ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ- 1994م، مج11، ص549، مادة (قَتَلَ)؛ المُقاتِلَة: الواحد "مُقَاتِل": الذين يأخذون في القتال. والتاء للتأنيث على تأويل الجماعة؛ *المنجد*، ص609، مادة (قَتَلَ).

(62) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص58.

(63) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص47، 53، 57، 61-62، 63 – 64، 65-66، 68، 84.

(64) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص53.

(65) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص 56؛ قارن بما يرد لدى ابن حوقل،*صورة*، ص178؛ الإصطخري، *المسالك*، ص46؛ المهلبي،*الكتاب العزيزي*، ص104.

(66) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص57؛ لعل المقصود بكلمة "سواقي كثيرة" المنصوبة على نهر العاصي، هو نواعير حماة التي تديرها مياه هذا النهر، فتسقي بساتينها وأراضيها؛ فقد ذكر هذه النواعير في القرن 3هـ/ 9م أحمد بن محمد بن مروان السرخسي المتوفى سنة 286هـ/ 899م في كتابه "رحلة المعتضد"؛ الحموي، معجم *البلدان*، مج2، ص300.

(67) شرع: شَرَعَ الوارد يشرعُ شرعاً وشروعاً: تناول بفيه. الشَّريعة والشّراعُ والمشرعة: المواضع التي يُنحدر إلى الماء منها. والشّرعةُ والشّريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشارية، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِداً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يُسقى بالرّشاء؛ ابن منظور، *لسان*، مج8، ص175، مادة (شرع).

(68) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص58، 61، 63،

(69)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص65؛ المهلبي،*الكتاب العزيزي*، ص94.

(70) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص67، 75؛ أكدت بعض المصادر الجغرافية على قلة مياه فلسطين وأن زراعتها بعل اعتماداً على مياه الأمطار والطل؛ الإصطخري، *المسالك*، ص43– 44؛ ابن حوقل، *صورة*، ص171.

(71) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص56؛ ترد نفس المعلومة لدى ابن حوقل، *صورة*، ص178.

(72) نرن: النَرَنج والنارنج: ضربٌ من الليمون تعرفه العامة "بليمون بوصفير" (فارسية)؛ *المنجد*، ص800، مادة (نرن).

(73) أترج: الأُترج والأترنج: واحدته "الأترجة والأترنجة": شجر من جنس الليمون يقال له أيضاً "التُرُنج"، وتسمّيه العامة الكبّاد؛ *المنجد*، ص2، مادة (أترج).

(74) ناصر خسرو، سفر نامه، ص57، 59– 60، 64– 66.

(75) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص 84، 86؛ أشارت بعض المصادر الجغرافية إلى أن أكثر جبال فلسطين زيتون وتين وجميز وعنب إلى سائر الفواكه، والفواكه أقلّها؛ الإصطخري، *المسالك*، ص44؛ ابن حوقل، *صورة*، ص172.

(76) السذاب: هو نبات يقارب شجر الرمان، أوراقه تقارب الصعتر البستاني، وله زهر أصفر، يخلف بزراً في أقماع، مر الطعم حاد، وصمغه شديد الحدة، ينفع في الصرع وأنواع الجنون، والفالج والمغص وعسر البول، وأمراض الرحم، وغيرها؛ الأنطاكي، داود بن عمر (ت، 1008هـ/ 1599م). *تذكرة أولي الألباب "تذكرة داود الأنطاكي"*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د. ت)، ص205.

(77) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص66.

(78) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص57 – 58؛ السمرقندي: نسبة إلى سمرقند، وهي بلد مشهور في بلاد ماوراء النهر، وهي قصبة الصغد؛ الحموي، معجم *البلدان*، مج3، ص246.

(79) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص64.

(80) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص66؛ قال المقدسي، *أحسن*، ص184.

(81) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص67، 86.

(82) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص 55؛ أشارت بعض المصادر إلى أهمية حلب التجارية، انظر: ابن حوقل ، *صورة* ، ص177؛ ابن العديم، *بغية*، مج1، ص62.

(83) عَشَرَ – عَشراً: أخذ واحداً من عشرة – عَشراً وعُشُوراً المال: أخذ عُشرَهُ/ و– القوم: أخذ عُشرَ أموالهم/ صار عاشرهم/ أخذ منهم واحداً، فصاروا تسعة؛ *المنجد*، ص507، مادة "عشر".

(84) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص58.

(85) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص50؛ الرطل: وحدة وزن، يساوي أساساً 12 أوقية، ويساوي كذلك 1 من 100 من القنطار، أي كل مئة رطل تشكل قنطاراً، أما رطل أخلاط: فيساوي 300 درهماً، وكل درهم يساوي نحو 3,207غم، وبالتالي فإن وزن الرطل نحو 962,1غم؛ هنتس، *المكاييل*،ص30، 36.

(86) ناصر خسرو، سفر نامه ، ص52، 55؛ الرطل الظاهري: هو الرطل الذي اعتمد في مصر أيام الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411– 427هـ/ 1021– 1036م)، وكان وزن هذا الرطل هو 1,5 كغ بالضبط؛ هنتس، *المكاييل*، ص33– 34.

(87) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص64؛ (المقصود بالجنيهات المغربية هو "الدنانير الفاطمية"، لأنه لم يكن في الحضارة العربية الإسلامية عملة باسم "الجنيه)؛ و"لعل المترجم قال تسمية "الجنيهات" تيمناً بالعملة المصرية الحديثة، وهي "الجنيه"، وكانت هذه العملة قد استخدمت في مصر منذ 1839م"؛*الموسوعة العربية الميسرة*، بإشراف: محمد شفيق غربال، ط 2،دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1972م، ص652.

(88) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص64.

(89) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص66 – 67.

(90) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص58، 67.

(91) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص58، 60، 64.

(92) ناصر خسرو، *سفر نامه*، ص60– 61؛ ابن أبي عقيل: هو عبد الله بن علي بن عياض المعروف بابن أبي عقيل الصوري (ت، 450هـ/ 1058م)، وهو محدث وشيخ جليل نبيل من أبناء صور، تولى قضاءها؛ ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، ج31، ص71– 73.

(93) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص71.

(94) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص67، 71، 84.

(95) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص62 – 64.

(96) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص68.

(97) ناصر خسرو، سفر نامه، ص86– 87؛ قال المقدسي: "حبرى هي قرية إبراهيم الخليل {عليه السلام}، ... فيها ضيافة دائمة وطبَّاخ وخبَّاز وخدّام مرتبون يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء"؛ *أحسن*، ص172– 173.

المصادر والمراجع:

أولاً– المصادر:

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد (ت، 630هـ/ 1232م). *الكامل في التاريخ*. تح: عمر تدمري، ط 4، دار الكتاب العربي،بيروت، 1424هـ – 2004م.
2. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت، 668هـ/1269م). *عيون الأنباء*.تح: محمد عيون السود،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ– 1998م، (768 صفحة).
3. الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت، 346هـ/ 957م). *المسالك والممالك*. تح: محمد الحيني، دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ– 1961م.
4. الأنطاكي، داود بن عمر (ت، 1008هـ/ 1599م). *تذكرة أولي الألباب "تذكرة داود الأنطاكي"*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د. ت).

5. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت، 458هـ/ 1066م). *تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا*. تح: عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، 1990م، (576 صفحة).
6. الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت، 626هـ/ 1229م). *معجم البلدان*. ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.
7. ابن حوقل، محمد بن علي (ت، نحو367هـ/ 977م).*صورة الأرض*. ط2،مطبعة بريل، ليدن، 1938م.
8. ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت، 300هـ/ 912م). *المسالك والممالك*. تح: خير الدين قبلاوي، وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، (286 صفحة).
9. الزبيدي، محمد مرتضى (ت، 1205هـ/ 1790م). *تاج العروس*. تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ- 1994م.
10. ابن شداد، محمد بن علي (ت، 684هـ/ 1285م).*الأعلاق الخطيرة . (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين)* . تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، 1387هـ- 1962م؛ ج3،القسم الأول،تح: يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م.
11. الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م). *تحفة ذوي الألباب*.تح: إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان، ط 2، دار البشائر، دمشق، 1419هـ - 1999م، (671 صفحة).
12. ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م). *زبدة الحلب*.تح: سهيل زكار، ط1،دار الكتاب العربي، دمشق، 1418هـ - 1997م.
13. ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م). *بغية الطلب*.تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م.
14. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت، 571هـ/ 1175م).*تاريخ مدينة دمشق*. تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
15. الفارقي، أحمد بن يوسف (ت، بعد 572هـ/ 1176م). *تاريخ الفارقي* .تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1379هـ- 1959م.
16. القفطي، علي بن يوسف (ت، 646هـ/1248م). *إخبار العلماء*. مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت)، (294 صفحة).
17. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت، 555هـ/ 1160م). *تاريخ دمشق*. تح: سهيل زكار، ط1، دار حسان، دمشق، 1403هـ - 1983م، (576 صفحة).
18. المقدسي، محمد بن أحمد (ت، نحو 380هـ/ 990م). *أحسن التقاسيم*. مطبعة بريل، ليدن، 1906م، (498 صفحة).
19. المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441م). *إتعاظالحنفا* . تح: محمد عطا، ط 1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2001م.
20. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت، 711هـ/ 1311م). *لسان العرب*. ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ- 1994م.
21. المهلبي، الحسن بن أحمد (ت، 380هـ/ 990م). *الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك* . جمعه: تيسير خلف، ط 1،دار التكوين، دمشق، 2006م.
22. ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م). *سفر نامه*. تر: يحيى الخشاب، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، (183 صفحة).

ثانياً- المراجع: <u>أ . المراجع العربية:</u>

1. تامر، عارف. *تاريخ الإسماعيلية*. ط1،رياض الريس للكتب والنشر، لندن - قبرص، 1991م.
2. حميدة، عبد الرحمن. *أعلام الجغرافيين العرب*. ط2، دار الفكر، دمشق، 1400هـ - 1980م.
3. خلف، تيسير. *موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين*. ج1، ط1، دار كنعان، دمشق، 2010م.
4. رزق، عاصم محمد. *معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية*. ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
5. ريحاوي، عبد القادر. *قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية*. وزارة الثقافة، دمشق، 2000م.

6. زكار، سهيل. أبو الفضل، سميحة. *تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني* . ط2، جامعة دمشق، 1428هـ-2007م.
7. زيادة، نقولا. *رواد الشرق العربي في العصور الوسطى*. الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.
8. زيود، محمد أحمد. *التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي*. جامعة دمشق، 1415هـ- 1994م.
9. العريني، السيد الباز .*الدولة البيزنطية*. دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.
10. *المنجد في اللغة والأعلام*. ط33،دار المشرق، بيروت، 1992م.
11. *الموسوعة العربية الميسرة*. بإشراف: محمد شفيق غربال، ط2، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1972م.

ب . المراجع المترجمة إلى العربية:

12. براون، إدوارد. *تاريخ الأدب في إيران*.تر: إبراهيم الشواربي، ط1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ – 2004م.
13. كراتشكوفسكي، أغناطيوس. *تاريخ الأدب الجغرافي العربي* .تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963م.
14. لسترانج، كي. *بلدان الخلافة الشرقية*.تر: بشير فرنسيس،كوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي،بغداد، 1373هـ – 1954م.
15. ميكيل، أندريه.*جغرافية دار الإسلام البشرية*. تر: إبراهيم خوري، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.
16. هنتس، فالتر. *المكاييل والأوزان الإسلامية*. تر: كامل العسلي، ط2،الجامعة الأردنية، عمَّان، (د. ت).
17. هنزبيرغر، أليس. *ناصر خسرو ياقوتة بدخشان*. تر: سيف الدين القصير، ط1،دار المدى، دمشق، 2003م.

ث . المراجع الأجنبية:

18. صفا، ذبيح الله. *تاريخ أدبيات ايران*. انتشارات فردوس، تهران، 1383هـ.
19 - LESTRANGE; G. Palestine Under the Moslems, Beirut, 1965.